مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الأول، ص247– ص269 يناير 2014
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

# فاعلية المسرح العلاجي في مناهضة العنف المجتمعي

**د. عمر محمد نقرش**

أستاذ مساعد - الجامعة الأردنية

**كلية الفنون والتصميم– قسم الفنون المسرحية**

**ملخص:** يهدف البحث إلى معرفة فاعلية المسرح العلاجي ودوره في مناهضة ظاهرة العنف بتجلياتها المادية والرمزية، ومحدداتها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والثقافية وتعدد أشكالها ومظاهرها ومخاطرها وانعكاساتها، اعتماداً على توظيف وتفعيل بعض الأساليب الفنية والمضامين والأشكال الدرامية، مثل: السيكودراما والسسيودراما، بكل أبعادها وإمكاناتها العلاجية ومفرداتها ودلالتها وقيمها الفكرية والعاطفية، وقدرتها على التنفيس الانفعالي والمناقشة الجماعية، والاستبصار الذاتي، والارتجال، والمحاكاة، وقدرتها على تعزيز قناعات المتلقي بضرورة مناهضة العنف، بوصفها أحد أبرز التدخلات الفعالة لإنتاج معرفة قادرة على إحداث التغيير والتجديد في الأنماط السلوكية، بما يخدم أغراض السعي إلى نبذ ظاهرة العنف المجتمعي ونشر ثقافة الحوار والسلام وتعزيز القيم السلوكية المرغوب فيها ومساندة جهود التنمية الإنسانية، خاصة أن الفن المسرحي يعتبر حاضنة كبيرة للعلوم الإنسانية ويلعب دوراً تشاركياً على مستوى تربية الإنسان وصياغة وعيه وثقافته وتوجيه ايدولوجيته، مستعرضاً الباحث في سبيل ذلك أمثلة توضيحية منتقاة ، ومستنبطاً نتائجه من مؤشرات الإطار النظري والمنهج الوصفي التحليلي.

# The Impacts of DramaTherapy in Facing Community Violence

**Abstract:** The research aims to identify the impact of therapy theatre and its impact on facing violence in both of its symbolic and materialistic manifestations. It also identifies its social, economic, psychological, and cultural reasons/shapes/dangers and reflections of violence. The researcher uses artistic forms and contents like psychodrama and sociodrama using all of their emotional and intellectual values and signification, their ability to be engaged in community discussion, personal reflection, improvisation, imitation, and their ability to enhance the audience convictions to face violence so that it would produce new behavior types.

The aim is to get rid of violence and spread out the culture of dialogue and peace in addition to enhancing behaviors attitudes and human development. Theatre arts in this regard play an integral role in educating humans and forming his awareness and culture and ideology. The researcher uses selected examples and deducing his results through theory and content analysis.

**المقدمة:**

استقطب مفهوم العنف بشكل عام اهتمام علماء النفس والاجتماع والعديد من الباحثين والدارسين الذين درسوا ظاهرة العنف، متلمسين جوانبها المختلفة ومكوناتها وتطورها ومحدداتها وأسبابها ونتائجها والدور المتنامي فيها للأطر التقليدية كالعائلة أو العشيرة ، واتفقت معظم النظريات والاتجاهات – برغم تباينها– على أن العنف يمكن أن يستدل عليه من خلال السلوك الفردي أو الجماعي والمثيرات الخارجية وتفاعلها معه، من أجل إثبات الذات وإقصاء الأخر، نتيجة لذلك تعددت أهدافه وتوسعت جغرافيته لتشمل العالم بأسره ، دونما تمييز بين الدول المتقدمة أو النامية، أو التي تطبق النظام الديمقراطي أو غيره من الأنظمة، بحيث بات وقوع العنف في أية دولة محتملا،(الجبرين،2005: 17) وعلى الرغم من رفض العنف شكلاً ومضموناً، إلا أن هناك بعض الاستثناءات له، مثل أن يتعرض فرد أو جماعات للعنف ما، وخروجاً على الأصل يستطيع الفرد أو الجماعات ووفق ضوابط معينه أن يرد/ترد العنف بعنف مضاد دفاعاً عن النفس أو العرض أو الممتلكات، ويعد هنا من وقع منه الفعل في حالة الدفاع المشروع ، فالعنف المضاد هنا هو حق ضمنته الشرائع السماوية، حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" (الحج، الآية: 39–40 ) فضلا عن الشرائع الوضعية كميثاق الأمم المتحدة الذي أباح الدفاع عن النفس كحق مشروع، وهذا ما يجعلنا بالضرورة نميّز بين العنف المشروع وغير المشروع، والعنف البنّاء الذي يساعد على التغير والتطور، والعنف الهدام الذي يدمر الحضارة والمجتمع والفكر ويدعو إلى التخلف والرجعية والفوضوية، وهذا التمييز دفع (هربرت ماركوز 1898–1979) إلى أن يدافع عن العنف من حيث إنه وسيلة للقضاء على القمع والتسلط وأساساً للتحرر، واقفاً من العنف الفوضوي موقف الرفض مهما كانت مبرراته؛ لأنه عنف من أجل العنف، لهذا فالضرورة الفكرية تفرض هذا التمييز حتى لا نقع في تبرير أعمال عنف غير مشروعة (بوالسكك،2009: 136)؛ ونظراً لأن العنف المجتمعي ينطوي على مخاطر كبيرة ويمثل انتهاكاً صريحاً للنواميس الاجتماعية والأخلاقية وتقوّيضاً للكثير من المكاسب والإنجازات المجتمعية، فإنه لا يمكن معالجته من منظور أمني فقط على الرغم من أهميته ومحوريته في معالجته، لذلك نجد المشكلة الكبرى في العنف أنه " لم يطرح للبحث والدراسة بالقدر الذي يتناسب مع خطورته وأهميته" (نفيسة،1996: 10)، لذلك نحتاج إلى منظور طويل الأجل يستند إلى برامج وخطط متعددة الأبعاد

والمجالات تُكتسب و تُنمى بها القيم الإيجابية، بحيث تتحول المعرفة بواسطتها من قول إلى عمل، ومثال ذلك: توظيف المسرح العلاجي بشقيه السيكودرامي والسوسيودرامي، وتفعيل المشاركة الاجتماعية وتوسيع مساحة حرية التعبير وتنمية مهارات التعامل التي يمكن الاعتماد عليها في إخفاء مظاهر العنف أو التحكم فيها لمحاولة تجاوز المشكلات بدلاً من استخدام العنف في مواجهتها، وهذا كله استفاد منه المشتغلون بالفن المسرحي بطريقة أو بأخرى من خلال المضامين والأشكال الدرامية التي تناولت هذه الظاهرة، والتي شكلت في مجملها الشريك الأهم في تشكيل حياة الأفراد والمجتمعات ونبذ ظاهرة العنف ، ونشر ثقافة الحوار وتعزيز جهود التنمية بأشكالها المختلفة ، مع مراعاة أن هناك أعمالاً درامية ساهمت بشكل قصدي أو غير قصدي على ترويج ثقافة العنف بكافة أشكاله، لدرجة أصبح فيها العنف جزءاً من تفاعلاتنا اليومية في التعامل مع الذات أو الآخر. من هنا تنبثق أهمية هذا البحث في التعرف على فاعلية ودور المسرح العلاجي(السيكودراما والسوسيودراما) في الحد من ظاهرة العنف، خصوصاً أن الفنون الدرامية بشكل عام والمسرحية بشكل خاص تلعب دوراً تشاركياً على مستوى التربية السلوكية، في ظل غياب أو تقصير التوجيه الأسري والتعليمي، والتقصير في الإنتاج الدرامي الموجه ، هذا وتعتبر خاصية التمسرح أيضا طريقة بيداغوجية (Pedagogy) فعالة لتحسين مستوى الأداء والسلوك في المنظومة الاجتماعية.

**مشكلة البحث:** تحدد مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

**1**- ما هو مفهوم العنف المجتمعي، أسبابه، نتائجه، أشكاله، انعكاساته، ومجالاته؟.

**2**- مدى فاعلية المسرح العلاجي وتطبيقاته (السيكودراما/السوسيودراما) في مناهضة العنف المجتمعي.

**أهداف البحث:** هدف البحث إلى مايلي:

1- التعرف على مفهوم العنف المجتمعي ومجالاته الرئيسية.

2- استقصاء مدى فاعلية توظيف المسرح العلاجي وتطبيقاته في التصدي لظاهرة العنف المجتمعي.

**أهمية البحث:** يكتسب البحث أهميته من خلال الآتي:

يعد البحث محاولة جادة وجديدة لترسيخ أهمية وضرورة توظيف المسرح العلاجي(السيكودراما/السوسيودراما) للحد من انتشار العنف المجتمعي بوصفه مشكلة حيوية واقعية، من خلال تعزيز قناعات المتلقي بمخاطر انتشار العنف على الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي، استناداً إلى التأثير الذهني والوجداني والعاطفي الذي يمتلكه الفن المسرحي

بوصفه وسيلة اتصال وإعلام وتثقيف وإمتاع وتعليم أيضاً، خصوصاً في ظل افتقار البيئة المحلية بشكل خاص والعربية بشكل عام لمثل هذه الدراسات المتخصصة على حدعلم الباحث، ويتوقع أن يستفيد من البحث الممارسون للعمل الإرشادي والمشتغلين في الفن المسرحي من مؤلفين ومخرجين وممثلين ونقاد، وكذلك تقديم الفائدة للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية والفنية، والجهات ذات العلاقة.

**حدود البحث:**

نظراً لاتساع الموضوعات التي يشتمل عليها البحث وتعدد جوانبه ومجالاته، حصر الباحث بحثه الحالي في الحدود التي يراها كفيلة بتحديد مساره والوصول به إلى تحقيق أهدافه.

**منهجية البحث:**

اعتمد الباحث أسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفية ، بوصفه أحد تقنيات منهج البحث الوصفي التحليلي، لتوضح خصوصية وكيفية الإفادة من المسرح العلاجي (السيكودراما والسوسيودراما) بتنوع اتجاهاته وأساليبه للتأثير على المتلقي إيجابياً في الحد من انتشار ظاهرة العنف المجتمعي ومخاطرها وطرق مقاومتها.

**تحديد مصطلحات البحث:**

**العنف لغوياً:** ورد في لسان العرب بأنه " الخرق بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق،عَنُفَ به وعليه يَعنُفُ عنفا وعنافة، وأعنفه، وعنّفه تعنيفا، وهو عنيف، إذا لم يكن رفيقا في أمره، واعتنف الأمر: أخذه بعنف، والتعنيف: التعيير واللوم "( ابن منظور، ج9، :257 ، 258) ، وذكر القاموس المحيط العنف بأنه " ضد الرفق، عنف ككرم عليه وبه، وأعنفته أنا وعنّفته تعنيفًا، والعنيف من لا رفق له بركوب الخيل، والشديد من القول"(الفيروز آبادي،2005 :839 ) ، مما يعني أن العنف بالمعنى اللغوي ماهو ضد الرأفة والرفق واللين متمثلاً في المغالاة في الشدة واستخدام القوة القولية أو الفعلية ضد الآخر.

**العنف اصطلاحاً:** العنف ومترادفاته يوصف بأنه "ظاهرة فردية أو مجتمعية، ينتجها الفاعل الفردي (المتسلط الأَنوي) مثلما ينتجها الفاعل الجمعي(المتسلط الجمعي) في سباق التصارع على الامتلاك الأَنوي أو الجمعي للآخرين"(إبراهيم،2004: 11)، ويعرفه (جون لوكاJohn Locke) في كتابه (آليات منطق العنف) بأنه "مفهوم يدل على انفجار القوة التي تعتدي بطريقة مباشرة على الأشخاص وأمتعتهم، سواء كانوا أفراداً أو جماعات، من أجل السيطرة عليهم عن طريق القتل أو التحطيم أو الإخضاع أو الهزيمة" (لوكا،1993: 33)، ويأخذ تعريف (لوكا) بعداً اجتماعياً بوصف العنف إيذاءً

باللفظ أو بالفعل للآخر بمعنى أنه يتضمن سلوكاً مادياً أو معنوياً مصحوباً بتعبيرات تهديديه، سواء كان هذا الآخر فرداً أو جماعة رابطا ذلك بالموجبات الاجتماعية التي أفرزت هذه الظاهرة مجتمعياً، وعرف العنف بأنه" تعبير رمزي أو لفظي أو بالفعل يأتيه فرد أو جماعة بعينها رغبة منهم في الحفاظ على وجودهم الاجتماعي أو لتحقيق رغباتهم أو الدفاع عنها نتيجة لعدم القدرة على تحمل الضغوط أو سوء فهم لطبيعة الموقف أو عدم المرونة في التعامل".(القصاص، 2005) ، ويظهر العنف هنا كتعبير تقل معه فرص التعبير الأخرى في ظل انحسار فرص المشاركة الحقيقية وغياب التنافسية المشروعة، ومن هنا نلاحظ تعدد تعاريف وصور العنف وأدواته وتداخلها طبقاً لاختلاف الفاعل أو الفاعلين، واختلاف المستهدف أو المستهدفين بالعنف، ولاختلاف مداخله السيكولوجية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والدينية والقانونية، وعليه فإن العنف إجرائياً : هو كل سلوك يقترن بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه بالاعتداء على الإنسان أو ممتلكاته لغايات إحداث الأذى والإضرار بالآخرين نفسياً أو اجتماعياً بصورة تؤثر في حريتهم، باستخدام الوسائل الاستراتيجية والطرق الاستثنائية خالقاً جواً من الرعب والاضطراب والفوضى، وقد يكون فردياً أو جماعيًا، منظماً أو غير منظم ،علنياً أو سرياً، صريحاً أو كامناً، فطرياً أو مكتسباً، مشروعاً أو غير مشروع.

**السيكودراما:** هي ترجمة للمصطلح الأجنبي Psychodrama ، وهو مركب من جزائين Psycho بمعنى النفس أو الروح ، وdrama بمعنى الفعل أو المحاكاة بواسطة الممثلين.(خطاب،2000: 183)، وعرفت بأنها" التمثلية النفسية وهي شكل من أشكال العلاج النفسي الذي يستخدم التمثيل في حل المشكلات النفسية"( يحيى،2003: 19) وعرفت كذلك بأنها" الأسلوب الذي نصل به إلى بعض الحقائق النفسية، مستعينين بالطرق الدرامية وعناصرها خمسة،هي:المسرح،العميل، الموجه، الأنوات المساعدة، الجمهور".( غازي،1991: 80) ، ويعرفها(عبد الفتاح مطر) بأنها:"أسلوب إسقاطي يقوم على تجسيد الفرد لبعض الأدوار أو المواقف أو العلاقات بالآخرين، بطريقة ارتجالية سواء ما كان يجسده الفرد موجودا في الماضي أو الحاضر أو متوقعا في المستقبل، مما يحقق استبصارا بسلوكه الاجتماعي، والتعلم من خلال خبرة الدور الذي يؤديه، وتعديل أنماط سلوكه غير الملائمة".(مطر، 2002: 10) ، وعرفت كذلك بأنها " أحد أساليب العلاج النفسي الجماعي من خلال دراما المواقف الانفعالية يشترك فيها المريض أو صاحب المشكلة مع المحيطين به والمعالج للمساعدة في الفهم والاستبصار بالمواقف باستخدام طرق عكس الأدوار ، أو طريقة المرآة أو طريقة البديل لتمثيل دور المريض وتقليده حتى يتفهم حقيقة انفعالاته"(الشربيني،2003: 146) باعتبارها علاجاً فردياً وجماعياً من خلال الحرية والتلقائية في الأداء، وتأكيد الثقة بالنفس والتعبير عن الصراعات والمكبوتات

والإحباطات، وعرفت أيضاً بأنها" شكل من أشكال العلاج الجماعي، يسهم في تدعيم علاقة يكون فيها الآخر مرآة للذات، مما يتيح للأنا أن يعمل بين المحتوى الظاهري والكامن، من خلال ديالوج أنـــا – أنت "( عبدالقادر، وسعد الدين،1994: 11)، بمعنى الدور الاسقاطي للدراما والانتقال من الأنا إلـــى الآخر ضمن منظومة التواصل الاجتماعي، بهدف التشخيص والعلاج والإرشاد النفسي، اعتماداً على التمثيل المسرحي لمواقف محددة من أجل التحرر والانفلات من الصراعات الداخليـــة عـــن طريـــق التعبير المسرحي، وعرفت أيضا بأنها " أسلوب تمثيلي في فريق عمل درامي، مـــن خـــلال عمليـــة درامية غنية بالنشاط والمرح باستخدام التلقائية والإبداعية"( عبدالحليم،2001: 13) بمعنى اســـتخدام التمثيل المسرحي ليقوم فيه الفرد بأداء أدوار من حياته على نحو تلقائي بهدف التطهير والتغيير فـــي نماذج السلوك الخاطئة، وينظر للسيكودراما على أنها "تصوير تمثيلي مسرحي لمشكلات نفســـية فـــي شكل تعبير حر في موقـــف جمـــاعي يتـــيح فرصـــة التنفـــيس الانفعـــالي التلقـــائي والاستبصـــار الذاتي"(زهران،1980: 303 ) وماسبق من تعريفات يتقاطع مع مفهوم الدراما النفســـية عنـــد عـــالم النفس الاجتماعي (مورينو Jacob Moreno 1889–1974) الذي لخص أهميتها في تنمية مهـــارات التواصل، ومساعدة الفرد على الوعي بذاته ، واكتساب تلك المهارات وممارستها من خلال تشخيص المشكلات السلوكية الشخصية والجماعية بجميع الفئات العمريـــة والمســـتويات الثقافيـــة والتعليمـــة، وعلاجها وفق فنيات توظيف السيكودراما وصولا إلى الاستبصار بالسلوك السلبي وتبنـــي ســـلوكيات إيجابية بديلة .

**السوسيودراما: sociodrama** بوصفها دراما اجتماعية وأسلوب تمثيل اجتماعي، عرفتها موســـوعة علم النفس والتحليل النفسي بأنها " تلك الأبنية الدرامية وخصوصـــاً المســـرح التـــي تهـــتم بـــالواقع الاجتماعي ومشكلات المجتمع وأفراده " (طه، وآخرون،1993 : 395) وتعّرف السوسيودراما بأنها" تتناول المشكلات ذات الطابع الجماعي، المتصل بوظيفة الجماعة أو بنائها، وتعالج مشاكل اجتماعيـــة أو اقتصادية، أو قضايا عامة في المجتمع، ولا تركز على مشكلة فردية خاصة كما في السيكودراما؛ لأن أهم ما فيهاهو الجماعة" (الخطيب،2003: 196) مـــع الإشـــارة هنـــا إلـــى أن التمييـــز بـــين السوسيودراما والسيكودراما يتمثل بتركز الأهمية في السيكودراما على الفرد بينما تركز الأهمية فـــي السوسيودراما على الجماعة، مع مراعاة أن لكل منهما جانبين، جانب فردي وأخر اجتمـــاعي، ففـــي السيكودراما يكون التركيز على الجانب الفردي في حين يكون الجانب الاجتماعي في الخلفية والعكس صحيح بالنسبة للسوسيودراما.

**فاعلية: Effectiveness** تعّرف بأنها" نشاط فاعلية متبادلة من أحدى النظريات المفسرة لصلة النفس بالجسم، وهي تقوم بالتأثير المتبادل بين النفس والجسم المتحدين في التركيب الإنساني." (وهبة،ومراد،1974: 57) ويعرف (بدوي) مصطلح الفاعلية بأنه" يستخدم لوصف فعل معين وتحديد أكثر الوسائل قدرة على تحقيق هدف، كما تعرف بأنها القدرة على تحقيق النتيجة المقصودة طبقًا لمعايير محددة مسبقًا، وتزداد الكفاءة أو الفاعلية كلما أمكن تحقيق النتيجة تحقيقًا كاملاً". (بدوي ، 1978: 128) ، ويرى (الطحان) أن المقصود بالفاعلية هو"أن يكون سلوك الفرد هادفًا إلى حل المشكلات ومواجهة الضغوط ، حتى لا تتحول هذه الضغوط إلى عوائق انفعالية تجعله عرضة للاضطرابات النفسية.(الطحان، 1987: 180)، وبذلك يتحدد معنى الفاعلية من خلال الوصول إلى الأهداف أو النتائج المرجوة.

**سلطة العنف و سلطة الفن (العلاج بالفن Art Therapy):**

يتداخل مفهوم العنف مع بعض المصطلحات والمفاهيم المتصلة به، بحسب اختلاف الباحثين والمجتمعات والثقافات، والتي توضح بدورها اختلاف الرؤى والمنطلقات والمعايير في تناول مفهوم العنف والأسباب المؤدية له، والسياق الذي أنتجه وطرق مقاومته. (وطفة،2009) ، والفن بدوره يشكل سلطة مضادة ومناهضة لكل سلطة اضطهادية وقمعية، وفي هذا الصدد يبرز التساؤل التالي: هل تمتد سلطة العنف بحيث تسري على الفن وتحد من سلطته ؟ أم أن الفن يمكن أن يكون وسيلة للحد من هذه السلطة(العنف) ؟ (ماركوز) بدوره يؤمن بضرورة تحرير الثقافة والفن من يد السلطوي ، فالفن والجمال يمكن أن يكونا مخرجاً من الأزمة التي يعيشها الإنسان في الحضارة المعاصرة والتي تتسم بالهيمنة والعنف والتسلط على الفرد، والفن المسرحي بدوره يمتلك القدرة والوسيلةً للتعبير والتغيير والتحرر من أي شكل من أشكال السلطة وأن يدفع الإنسان إلى التفكير بذاته ومجتمعه، وهذا ما عبر عنه (ماركوز) قائلاً: " لئن كانت هذه النزعة الجذرية تشدد اللهجة على الطاقة السياسية للفنون، فهذا قبل كل شيء ؛ لأن هذه النزعة تعرب عن حاجتها إلى أن تبّلغ الآخرين بصورة فعالة اتهامها للواقع القائم وأهدافها في التحرر، وهذا المجهود الذي تبذله إنما تبذله بهدف إيجاد أشكال من الإبلاغ والاتصال قادرةً على التصدي للهيمنة القمعية على روح الإنسان وجسده "(ماركوز،1972: 95)، ومن خلال تحليل (ماركوز) للفن والجمال، خاصةً في كتابه (البعد الجمالي) يكشف لنا أن الفن وسيلة ضرورية للتعبير والتغيير و للتحرر من أي سلطة تتخذ من العنف عنوانا لها.(ماركوز،1972) ، وبهذا يوظف الفن ليبني مجتمعاً خالياً من العنف والتسلط والاضطهاد، ومعبراً عن الجمال والسلم والأمل، ووصل (ماركوز) إلى حقيقة مفادها: أن المجتمع التوتاليتاري Totalitarisme (السلطة

المطلقة) وعنفه قد تحكم في العالم الخارجي للإنسان، وها هو يسعى إلى التحكم في عالمه الـداخلي، ومن هنا كان الجدل بين التغيير والسلطة يصطدم بثقافة العنف والعنف المضاد(ماركوز،1972).

أكدت الجمعية الأمريكية للعلاج بالفن The American Art Therap Association بدورها على أهمية العلاج بالفن بوصفة يقدم فرصا استكشافية للمشكلات الشخصية والسـلوكية مـن خـلال ممارسة النشاطات الفنية، وأشارت إلى نوعين من العلاج بالفن : أحدهما (الموجـه) وفيـه يقتـرح المعالج موضوعاً يفيد الفرد الذي لديه مشكلة، والآخر(غير الموجه)، وفيه يجعل المعـالج المشـترك نفسه يقوم بالتجربة، وكلتا الطريقتين تشجعان الفرد على التعبير عن مشاعره وأفكاره بطريقة قريبـة من الواقع بأسلوب استعاري أو رمزي، معتمداً على الاحتياجات الفعلية للمشاركين، فـالعلاج بـالفن يبنى الثقة بالذات وينمي إمكاناتها الابتكارية في طرق جديدة ذات معنى، مع مراعاة أن أهداف العلاج بالفن تختلف تبعاً لاحتياجات الأفراد والتي يحددها المعالج بالفن. (اليامي،2001)

مع الإشارة هنا إلى بعض الأسس التي يستند إليها العلاج بالفن كما حـددتها المحللـة النفسـية (نومبورغ Margare Naumburg1890-1983)، ومنها أن المشاعر والأفكار اللاشعورية، يسـهل التعبير عنها تلقائياً في العلاج بالفن، حيـث بإمكانـه تجسـيد المـواد اللاشـعورية مثـل الأحـلام والصراعات، والذكريات الطفولية والمخاوف بوصفها دليلاً على انطلاق الصراعات من اللاشـعور، الشيء الذي يجعله قادراً على فحص المشاكل السلوكية بموضوعية متزايدة استناداً إلى التداعي الحر Free Association(فراج ، وحسن، 2004). مع مراعاة اختلاف الأهداف الخاصة لعملية العلاج بالفن تبعاً لاختلاف نوعية المشكلة التي يعاني منها الخاضع للعلاج بالفن، ومنها على سبيل المثـال: استخدام الفن كمتنفس عن المشاعر والخبرات الداخلية بهدف تقوية الأنا وتحرير طاقتها النفسية التـي سبق واستنفذتها في عملية الكبت، وتقليل الشعور بالذنب وتنمية القدرة على التكامل والتواصل.(فراج ،وحسن، 2004)، ولمقاربة كل ماسبق إلى مفهوم المسرح العلاجي ودوره في مناهضة العنف، لابد من التعرف على ماهية العنف ومظاهره وأشكاله للوصول إلى الحل المنشود بوسائل درامية.

**مظاهر وأشكال العنف الرئيسية:**

على الرغم من تصنيفات علماء الاجتماع والنفس والفلاسفة للعنف في أبواب كثيـرة ، إلا أنـه يمكن حصرها في تصنيفين أساسين، الأول: الحالة النفسية التي تنطوي على ممارسة العنـف بـالقوة والضغط والإكراه ضد الآخرين بغير حق، بهدف إشباع رغبات كامنة، والثاني: توصف بأنها عنـف دفاعي أو وقائي ضد المخاطر التي تواجه الإنسان وتهدد حياته وتمارس وفق تشـريعات قانونيـة أو مجتمعية متعارف عليها،(عابدين،2010) وهذا يعني بالضرورة انعكاسا للأنـا والأنانيـة والتحـول

تدريجياً إلى الصفة الجماعية وصولاً إلى مفهوم ثقافة العنف المجتمعي على اختلاف أشكاله وصوره حيث إن " ثقافة العنف السائدة في أي مجتمع وطبيعة الحياة الحديثة المليئة بالصعوبات قد تهيئ بيئة يغلب عليها طابع العنف، فالأشخاص الذين تتميز شخصياتهم بالعنف قد ينتمون إلى ثقافات فرعية (Subcultures) تؤمن بالعنف وتتسامح معه إلى حد كبير" (جبرين،2005: 20) وتقول: (باربرا ويتمر Barbra Whitmer ) في هذا الباب: إن "الأنماط الثقافية للعنف هي أشكال من القبول والإقرار التي تعبر عنها الخطب الرمزية والمؤسسات والمعتقدات والمواقف والممارسات الاجتماعية" (ويتمر،2007: 6) ، ويندرج تحت ذلك (العنف غير المسئول) الذي يفتقد إلى أية أهداف موضوعية (العنف الجماعي) و(عنف المنشأ) المتمثل في سائل الإعلام والاتصال الحديثة ، الذي يولد بدوره العنف الانفعالي، وهناك أيضا (العنف العقلاني) وهو أكثر أنواع العنف نضجا وفاعلية. (ليلة، 1993). كما يصنف العنف بغض النظر عن كونه فطرياً أو مكتسباً، مشروعاً أو غير مشروع ، مباشراً أو غير مباشر، أو مجال حدوثه أو تأثيره إلى:

1. العنف ضد الذات: ويمثل البعد النفسي للعنف، وهو الشكل الداخلي للممارسة العنيفة، الذي يلحق الأذى بالذات ويقلل من قيمتها وأهميتها وشأنها.
2. العنف ضد الآخر: ويمثل البعد الاجتماعي للعنف، وهو الذي يلحق الضرر بالآخرين و يؤسس لعلاقة متوترة معهم.
3. العنف الجماعي: المرتبط بالسلوك الجماعي، مثل: المشاجرات، الشغب، المواجهات، الحروب...الخ.

**أساليب وطرق التعبير عن العنف بحسب الوسيلة:**

1. العنف البدني أو الجسدي: الموجه من وإلى الذات أو الأخر، ويدخل في ذلك التشويه والقتل والاغتصاب والسلب والإكراه تحت تهديد السلاح أو القوة .
2. العنف اللفظي: يشمل الشجار اللفظي باستخدام الألفاظ القاسية والشتائم والمنابذة بالألقاب، والتوبيخ والوعيد، وهو في العادة يسبق العنف البدني .
3. العنف الرمزي: أو بحسب علماء النفس العنف التسلطي، مثل: الاحتقار وتجاهل الأخر.(يحيى،2000)

**أسباب العنف:** تنطوي ظاهرة العنف على مجموعة مسببات، من أهمها ما يلي :

1. التنشئة الاجتماعية: و توضحها نظرية التعليم الاجتماعي Social Learning Theory ، التي أنشاها وطورها عالم الاجتماع ( ألبرت باندورا) مفادها أن السلوك العدواني يتم تعلمه بالتقليد والتلقين من خلال المشاهدة و الملاحظة من البيئة وممارستها بشكل خاطئ؛ أي أن الفرد والبيئة بينهما سلوك متبادل ، بمعنى أن الشخصية العنيفة هي نتاج لتفاعل البيئة والسلوك والعملية العقلية للفرد، وهو ما يسمى بتكامل الأدوار أو صراع الأدوار (جبرين، 2005: 101) وهذا ما نستطيع مقاربته إلى مفهوم العلاج الدراماDrama Therapy وطبيعة الدور المناط بالممثل في المسرحية.
2. غياب الردع : وجوهر هذه النظرية يتحدد بأنه بغياب الرادع أو العقوبة ( اجتماعية كانت أو قانونية) يتضاعف العنف (السمري،2001).
3. وسائل الإعلام: بوصفها القوة الأكثر تأثيراً نفسياً واجتماعياً وتربوياً وقيمياً، فهي تلعب دوراً لا يستهان به في تغذية أو دعم ظهور العنف الرمزي من خلال البرامج والأفلام والأخبار وأساليب تركيبها، وعدم مراعاة الحالة النفسية المهيأة لدى المتلقي. (البشر،2005: 9)، (بورديو،2004).
4. الحرب الاقتصادية: وهي بحسب عالم الاجتماع ( بيير بورديو 2002-1930) نوع من العنف الرمزي الممارس من قبل أصحاب الشركات والمصانع وأرباب العمل بحق العاملين، مثل: تخفيض الأجور أو التسريح من العمل (الهلالي،2009) و( بيرديو، وبارسون،2007).

ويضاف أيضا إلى أسباب العنف نشوء العداوة المتطرفة بين الفئات أو الطبقات الاجتماعية المتعارضة، والتمييز والنزاعات العنصرية واختلاف المعتقدات الدينية.(مراد،1991)، ومما سبق نلاحظ مدى ارتباط العنف بالاستعداد الشخصي لممارس العنف من جهة، وبالضغوط الخارجية من جهة أخرى، وبهيمنة سلوك الرفض المطلق تجاه الغير، والتعصب والميل للتطرف، والتمييز العنصري والاجتماعي والتفرقة المذهبية والطائفية والطبقية، كما يرتبط بالمتغيرات الاجتماعية وأساليب التنشئة ومشاهدة العنف الإعلامي.

**فاعلية المسرح العلاجي: (السيكودراما Psychodrama)**

تعد السيكودراما أو "الدراما النفسية" من أشهر أساليب الإرشاد و العلاج الجماعي وأكثرها فعالية، فهي بالإضافة لكونها أسلوباً إرشادياً وعلاجياً، هي أيضا أسلوب تربوي وتعليمي يتم التدريب عليها من خلال أساليب ترويحية مقربة من النفس، والسيكودراما من الأساليب الإسقاطية التي تحقق لعضو المجموعة الإرشادية التنفيس الانفعالي والاستبصار وتعديل الأنماط السلوكية الخاطئة عن

طريق التمثيل التلقائي لمواقف وأحداث لها علاقة بمشكلته النفسية أو السلوكية أو الاجتماعية، وتعد السيكودراما مفهوماً واسعاً يتضمن شكلاً من أشكال العلاج النفسي الجماعي وطريقة لفهم وحل المشكلات التي يعاني منها الفرد باختلاف أنواعها السلوكية والاجتماعية، ويقوم على مسلمة مؤداها أن تمثيل الدور يتيح للشخص أن يعبر عن الانفعالات التي تشقيه، وتستخدم التمثيل أو "الدراما" كوسيلة أدائية، والصفة المميزة لها، هي: التلقائية وإعادة صياغة الأحداث والمواقف الماضية والمسببة للتوتر والمعاناة بالطرق الدرامية ومسرحة المشكلات النفسية بهدف التطهير الانفعالي وإعادة التعلم واكتشاف معالم القوة والضعف واكتساب الخبرات بالمشاركة والمشاهدة لتحقيق التوافق الاجتماعي والنفسي. (سليمان،1999: 172) مع الأخذ بعين الاعتبار– بغض النظر عن الاختلاف حول البداية التاريخية للسيكودراما– أن جذور السيكودراما تعود إلى الإغريق" إذ كانت معاهد ومدراس الفلاسفة الإغريق القدماء مظهراً أخر من مظاهر التراث السيكودرامي المهني" (غانم،2009: 12 ) ، وجذور السيكودراما مشتقة بالأصل من نظرية (أرسطو Aristotle 384– 322 ق.م) الدرامية وخصوصا مفهوم التطهير Catharsis أو التنفيس الانفعالي Abreaction catharsis ،بالإضافة إلى بعض مفاهيم نظرية التحليل النفسي، مثل: الإسقاط النفسي ، ومفاهيم المدرسة السلوكية، مثل: الخبرة وتعديل السلوك، ومفاهيم نظرية التعلم ، مثل التعليم بالمحاكاة والتعليم بالملاحظة والتعليم بالنمذجة ، ومفاهيم نظرية الجشطالت Gestalt،مثل: مفهوم التعلم بالاستبصار والاستبصار الذاتي وبعض المصطلحات التي تنتمي إلى النظرية الوجودية مثل هنا والآن (المعايشة)، وصولاً إلى تشكل الأسلوب السيكودرامي العلاجي بفنياته وتقنياته وأساليبه المختلفة بحيث أصبح يستخدم للعديد من المواقف والمشكلات على اختلافها ، ومن مجالات استخدام السيكودراما إضافة إلى كونها طريقة للعلاج النفسي واضطرابات السلوك، هي أيضا أداة علاج اجتماعي من خلال تشخيص المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع أفراداً وجماعات، وهي أيضا وسيلة تدريب وتربية وتعليم على السلوكيات المضطربة والعدوانية .(غانم،2009) مع ضرورة مراعاة تحديد معايير المشكلات السلوكية، ومن هذه المعايير مثلا : انحراف السلوك عن المعايير المقبولة اجتماعياً ، واختلاف معايير الحكم على السلوك باختلاف المجتمعات والثقافات والعمر والجنس، ومدة السلوك ، وتكرار السلوك ، وثبات السلوك في فترة زمنية معينة، وشدة السلوك ( الظاهر،2004: 84) ، وتجدر الإشارة هنا إلى بعض التجارب المسرحية التي تؤشر إلى استخدام السيكودراما كأداة علاجية ، فنجد أصولها لدى اليونانيين القدماء، فقد أشار المؤلف اليوناني( أريسطوفان Aristophanes ) في القرن الرابع قبل الميلاد إلى أن الشخص يظل سجين أدواره الاجتماعية، ويمكنه التحرر منها وفهم

دوافعها عند التعبير عنها على خشبة المسرح، كما أن الفيلسوف اليوناني (أرسطو) أشار بدوره إلى الأهمية الأساسية التي يلعبها المسرح في التخفيف من المعاناة النفسية، خلال التوحد مع الممثلين في أدوار معينة، مما يساعد على التطهير النفسي، وبالمقابل دعا المخرج ( قسطنطين ستانسلافسكي1836–1938) إلى المعايشة أو الاندماج في تمثيل الدور بهدف تطهير المتعلم نفسانياً وأخلاقياً واجتماعياً، والمخرج (أنطونان أرتو1896–1948) دافع كثيراً عن مسرح القسوة باعتباره مسرحاً علاجياً يحرر الإنسان من غرائزه اللاشعورية الموروثة ويزيل عنه الشرور والأحقاد ، بالمقابل أخذت مسرحيات (هنريك أبسن1828– 1906) السمة النفسية من خلال البعد العلاجي والبعد التحريضي ، حيث يعمل البعد الأول على ترميم الذات الإنسانية وفقاً لأسلوب المواجهة والمكاشفة واستبطان ماهو سرّي وغير معلن في النفس الإنسانية ، ويتجسّد البعد الثاني في التمرّد والثورة على ماهو سائد من العادات والتقاليد والقيم البالية التي تمثل عناصر ضغط على الشخصيات وتدفع بها إلى اتخاذ مواقف مضادة ، كما كتب (الماركيز دي ساد Marquis de Sade) بعض الروايات والحوارات التي تعالج بعض الحالات المرضية، وكتب (جوته Gotha) مسرحية أسماها(Lila ليلى) قدم فيها علاجاً نفسياً لعلاج الاكتئاب الذهاني بأن جعل أفراد الأسرة الواحدة يمثلون أوهام المريض، ويمكن اعتبار هذه المسرحية عملاً رائداً في مجال استخدام السيكودراما (شحاتة، 1999: 36).

ويمكن الإشارة هنا إلى البعد العلاجي في مسرح المقهورين أو المضطهدين ( أوغيستو بوال Augusto Boal1931–2009) المستند إلى التعاليم الحوارية في بيداغوجيا المقهورين عند ( باولو فريري Paulo Freire1921–1997 ) الذي يقترب من مفهوم المسرح العلاجي (السيكودراما) من حيث التلقائية الإبداعية والمناقشة بعد العرض وإيجاد وسائل درامية جديدة للمساهمة في التغير وإشراك الجمهور في الفعل المسرحي بدلاً من وظيفة المراقبة، حيث الجمهور جزء أساسي في العرض يقترح حلولاً للمشاكل التي تقدمها المسرحية وبإمكانه أن يصعد على خشبة المسرح ويؤدي دور أي ممثل بالطريقة التي يراها مناسبة لحل المشكلة المعروضة، وبذلك يجعلهم ينتقلون من منطقة التمني في التغير إلى التطبيق العملي للتغيير وخاصة في مواجهة الممارسات العنيفة حيث تساعد تقنيات مسرح المقهورين المشاركين على اكتشاف ذاتهم وفهم أوضاعهم الاجتماعية وممارسة التغيير للأوضاع السلبية (فريري،2002). مع الإشارة هنا إلى ارتباط ذلك أيضا بمفهوم الكاتب المسرحي الانجليزي ( تشارلز ديمر Charles Deemer) عن (المسرح التفاعلي) أو التنشيط الاجتماعي الذي يتخطى حدود الفردية وينفتح على آفاق الجماعية، ويتحول فيه المتلقي إلى مشارك ومحاور في العمل المسرحي بهدف زيادة الوعي حول قضية من القضايا التي تحوز على اهتمام الفئة المستهدفة.

هذا و تختلف السيكودراما عن الدراما في أنها عمل تمثيلي يقوم فيه الفرد بالتعبير الحر عن خبرات وتجارب شخصية حقيقية وقعت له في الماضي أو الحاضر أو متوقع حدوثها مستقبلا، دون الإعداد المسبق أو التقيد بنص جاهز أو دور محدد الأبعاد وإنما يتم ذلك بتلقائية تؤدي بالفرد إلى إسقاط شخصيته الحقيقية على الحدث أو الموقف المؤدى، فالفرد هنا لا يؤدي أو يعبر عن شخصية غيره من الأفراد وإنما يمثل ذاته، وبالمقابل السيكودراما تختلف عن السوسيودراما(الدراما الاجتماعية) : في أن الأخيرة تعتبر قرين للتمثيل النفسي المسرحي تتناول المشكلات الاجتماعية والمجتمعية ، فهي أسلوب إرشادي جماعي يختلف عن السيكودراما في نوعية المشكلات التي يتم تناولها، ويطلق على هذا الأسلوب اسم ( لعب الأدوارRole playing) ، وهذا الأسلوب يوصف بأنه إعادة صياغة الأحداث والمواقف الاجتماعية الماضية ومعالجتها مسرحيًا بحرية وتلقائية يعبر فيها عن السلوك الفعلي مما يؤدي إلى اكتساب حصانة ذاتية تساعد في امتصاص صدمات التوتر والقلق والانفعال، وفي القدرة على التواصل والتوافق الاجتماعي؛ لأن "السيسودراما تتناول المشكلات ذات الطابع الجماعي، المتصل بوظيفة الجماعة أو بنائها، وتعالج مشاكل اجتماعية أو اقتصادية، أو قضايا عامة في المجتمع" (الخطيب،2003، ص196)، وهذا يوضح أن لكل مشكلة جانبين: جانب فردي وجانب اجتماعي، ففي السيكودراما يكون التركيز على الجانب الفردي في حين يكون الجانب الاجتماعي في الخلفية، والعكس صحيح بالنسبة للسيسودراما.(عيسوي 1978: 265 ) ، ويضع (مورينوMoreno) الخطوط الرئيسية لممارسة هذا الأسلوب إرشاديًا حيث يقوم التمثيل النفسي المسرحي (السيكودراما) على مجموعة من العناصر تشكل المكونات الرئيسية له والتي يمكن تطبيقها على موضوع العنف المجتمعي، وهي:

1. خشبة المسرح: الذي تصاغ عليه الأحداث، ويتمثل بالمكان المناسب للقيام بالعملية العلاجية على ضوء الأداء التمثيلي للعلاج بالسيكودراما .
2. المسرحية: التي تمثل المادة الدرامية التي يشترك الأعضاء في صياغتها وتمثيلها، وتتضمن المشكلة ومحور الصراع وتشمل على تمهيد أو مقدمة وتعريف بالمشاركين والشخصية المحورية وصولا إلى الاستبصار، والتفريغ الانفعالي، واقتراح الحلول ثم الخاتمة، و يمكن أن تكون عبارة عن قصة تدور أحداثها حول قضايا سلوكية ، أو نفسية، أو اجتماعية متعلقة بالعنف المجتمعي.(عقل،1999).

3. المخرج (المعالج): الذي يمثل قائد المجموعة الإرشادية ، لديه خبره عمليه وعلمية، تساعده على بناء علاقات متبادلة ومتفاعلة داخل المجموعة من خلال إعطاء الحرية التامة للممثلين في اختيار الموضوعات المتعلقة بموضوع العنف، وأداء الأدوار.
4. بطل المسرحية(الشخصية المحورية/المسترشد) : وهو الذي يقوم بالدور الرئيسي على المسرح ويتم اختياره من بين الأعضاء ليعيد تمثيل موقف معين من مواقف العنف المقترحة، والمطلوب منه أن يكون هو نفسه وأن يصور عالمه الخاص، وليس المطلوب أن يكون ممثلا لأن الممثل مجبر على التخلي عن شخصيته الحقيقية لكي يتقمص الدور الذي حدده له المؤلف.
5. الأنوات المساعدة: وتشتمل على مجموعة من الأعضاء يساعدون البطل في أداء بعض الأدوار الفردية، ويفضل أن يختار كل عضو الدور الذي يرغب في تمثيله بحرية تامة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الفئة المعنية بتمثيل الأدوار ليسو ممثلين محترفين، وإنما هم مؤدون لأدوار تعكس سلوكياتهم، وقد يشترك بعض أفراد الفريق الإرشادي في التمثيل بهدف تقويم أو تفسير أو توجيه السلوك .
6. المشاهدون: (أعضاء المجموعة الإرشادية)، وهم يأخذون دوراً فعالاً في المشاركة الجماعية بعد انتهاء الفعل الدرامي، حيث يتم التركيز على الجانب السلوكي وليس على الجانب الفني التمثيلي، والتعليق على أحداث المسرحية وتقييمها ونقدها واستعراض المواقف والعبر والأسباب التي تساعدهم على التخفيف من حدة العنف المجتمعي. (جمعة، 2005).

مع الأخذ بعين الاعتبار أن السيكودراما إعادة تمثيل الواقع لا محاكاته وذلك بهدف تسهيل عملية التغيير الايجابي وتحقيق التفاعلية لدى المشاركين وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن مشاعرهم، واكتسابهم خبرات ومهارات جديدة للتعامل مع مواقف مستقبلية مشابهة، انطلاقاً من مرحلة الاستكشاف والتقدير والتخطيط ومروراً بمرحلة التطبيق وإنجاز الأهداف، وانتهاء بمرحلة المناقشة والتقويم. (الشناوي ، 1996)

**تقنيات السيكودراما:Psychodrama Techniques**

إن التقنيات والأساليب المستخدمة في السيكودراما يتم تحديدها وفقاً للموضوع وللظروف الخاصة بكل جلسة، وقد أعطى ( مورينو) الحرية للمشتغلين بالسيكودراما في أن يضيفوا إلى تلك الفنيات ما يرونه مناسبا، وهكذا أخذ عدد الفنيات يرتفع يوماً بعد يوم، كذلك فإن للمعالج (المخرج) الحرية في أن يستخدم أكثر من فنية في جلسة واحدة، أو أن يستخدم فنية واحدة في أكثر من جلسة حسبما يراه

مناسباً لموضوع العنف.( إبراهيم،1994: 17) ومن أشهر تقنيات السيكودراما وأكثرها استخداماً، والتي يمكن تطبيقها على موضوع العنف المجتمعي ما يلي :

1. أسلوب مناجاة النفس: وفيه يتم (منولوج) بين الشخص ونفسه يعبر من خلاله عما بداخله من مشاعر وأفكار متعلقة بالعنف، ويكون دور المعالج (المخرج) مساعدته على إخراج ذلك في صورة لفظية وبصرية، وهو أسلوب مفيد في إبراز المسافة بين الإدراك الحسي والأحداث الفعلية في العلاقات بين الأشخاص، وهو بالتالي يسمح للمسترشد (الشخصية الرئيسية) وشريكه سد الثغرة التي بينهما.(غريب،1999: 22)
2. أسلوب تقديم الذات: حيث يقوم (المسترشد) أو بطل المسرحية بتقديم نفسه أو أحد معارفه، ويقوم بتوضيح استجاباته حول موضوع العنف، وبذلك فإن هذا العرض يعطي المرشد وأفراد المجموعة صورة واضحة حول كيفية إدراك البطل للآخرين والعكس صحيح.
3. أسلوب لعب الدور: فيه يقوم الشخص بتمثيل دور شخص أخر (حسب الرغبة) و يتحدث بلسانه و يتصرف نيابة عنه، ويختلف لعب الدور في الجلسة السيكودرامية عن تمثيل الدور في الدراما العادية في أن الدور في الجلسات السيكودرامية لا يعد مسبقاً ولا تملى على المشارك الكلمات التي يقولها و الحركات التي يؤديها ولكن الفرصة متاحة لتأدية دوره بالطريقة التي تروق له ، و يمكن للبطل أثناء الجلسة السيكودرامية أن ينتقل من دور إلى آخر، وتعد فنية لعب الدور من أكثر الأساليب الإسقاطية .
4. أسلوب عكس الدور: فيه يتم عملية قلب الأدوار بين الأشخاص الذين يعانون من التشويش في إدراك الشخص الآخر، وبهذا يتم التفاعل بينهما وتصحيح شكل العلاقة.
5. أسلوب البديل: يستخدم عند تغلغل النزعات والاضطرابات التي يعاني المسترشد على مستوى الذات، فيتم وضع ذات مساعدة تتفاعل معه، كما لو أنها هي الذات المستهدفة بعينها وتقوم بالتمثيل معه، أو حتى التحدث بدلاً منه، ومساعدته في الوصول للحل.
6. أسلوب المرآة: يُستخدم هذا الأسلوب حينما يكون المسترشد عاجزاً عن التعبير عن نفسه بالكلام وبالفعل حيث يتم وضع ذات مساعدة أو أنا مساعدة في جزء خاص من سلوكه في موقف سيكودرامي ويبقى هو وسط باقي المشاهدين، وتستمر الأنا المساعدة في تمثيل دوره بكل أبعاده ومشكلاته .

7. أسلوب الكرسي الخالي: وفي هذا الأسلوب يتم إحلال (كرسي) بدلاً من شخص ما في الحدث الدرامي، وهذه الفنية تتيح للبطل الحرية في التعبير والصراخ والغضب عن موضوعات العنف.(غانم، 2009: 133)
8. أسلوب الديالوج: وهو حوار بين اثنين يأخذ شكل سؤال وجواب ، أو يأخذ شكل تفاعل درامي، وهذا الأسلوب يتيح للمسترشد الكشف عن صراعاته الداخلية والإفصاح عن مشكلاته أو رغباته من خلال الحديث مع شخص أخر حول موضوع العنف المجتمعي .
9. أسلوب حل المشكلة: وهو مزيج أو ائتلاف من عدة فنيات تستخدم في العلاج السيكودرامي والعلاج الجماعي على حد سواء، مثل: تقويم النفس، المونولوج، المناجاة، وتتلخص في أن يقوم كل فرد من أفراد المجموعة بعرض أهم المشكلات التي تؤرقه في موضوع العنف، على أن يقوم بقية أفراد المجوعة بإيجاد الحلول المناسبة لتلك المشكلة (غريب، 1999).
10. أسلوب عرض المستقبل: فيه يعرض أبطال المسرحية رغباتهم في المستقبل الذي يخافونه أو يؤملونه، وهذا الأسلوب يمكن أن يزود الأبطال بالتبصر بأهدافهم و أولوياتهم، ويزودهم ببعض الدلالات للمستقبل الذي يتوقعونه، ويمكنهم من معرفة التغيرات المطلوبة في أنفسهم من أجل الحصول على ما يريدون. (السفاسفة، 2003: 195-196).
11. أسلوب النمذجة السلوكية للدور:ويقوم هذا الأسلوب على أساس نظرية ( باندورا Bandura) في التعلم الاجتماعي، والتي تؤكد على استخدام الملاحظة والنمذجة والتدعيم بوصفها خطوات لتعديل السلوك (المتسم بالعنف).(شحاتة،1999: 45).

**تطبيقات السيكودراما :**

إن السيكودراما بوصفها تقنية حضارية و اقتصادية(غير مكلفة) في تعديل السلوك الإنساني، وزيادة قدرة الأفراد على التعبير بحرية وتلقائية عن مشاعرهم السلبية واتجاهاتهم و دوافعهم وصراعاتهم وإحباطاتهم ؛ مما يؤدي بالتالي إلى تحقيق التوافق والتفاعل الاجتماعي والنفسي ، مما من شأنه أن يزيد في استبصار المسترشدين بهدف تعديل السلوك في الحياة العملية عن طريق المعالج بالسيكودراما، وهو من يختص بتطبيق خطوات السيكودراما في العلاج النفسي، ويسمى أيضا بـ"مخرج العمل" وفي السيكودراما يتم استخدام أساليب أو "تقنيات" على المستوى الفردي أو الثنائي أو الجماعي.( الزعبي، 2002 : 228 ) و (ملحم،2007 : 294 ) وتمر إجراءات السيكودراما التي يمكن تطبيقها على موضوع العنف بثلاث مراحل علاجية، هي:

1. مرحلة التهيئة والإعداد: بمعنى الإحماء والتسخين لتهيئة وتشجيع الأعضاء المشاركين، وذلك باستخدام الموسيقى والرقص والحركة وبعض التمرينات الرياضية أو الألعاب، وإثارة بعض الأسئلة حول موضوع العنف للمناقشة، ولتفعيل المخيلة عند المشتركين، وتذكيّرهم بمشاهد ومواقف مألوفة وعاديّة مرّت معهم، وذلك لكي يتمكن(المخرج) من التحكم نسبيّاً بمخيلتهم، والتداعي الحرّ لأفكارهم ولإزالة التوتر وزيادة التواصل والتفاعل، مع مراعاة أن هنالك العديد من أشكال التهيئة سواء بشكل فردي أو جماعي حيث من الممكن إثارة موضوعات تخص فرد بعينه أو بعض الأفراد أو تخص الجماعة ككل.
2. مرحلة الأداء التمثيلي: بوصفه أداة تنفيسية مهمة للتفريغ الانفعالي لحالات العنف والعدوان، وذلك من خلال طرح المشكلة المقترحة وتحديد أولوياتها واختيار الأهم فيها بالاتفاق، مع إتاحة مساحة كافية للتلقائية والحرية، ثم إعادة صياغة وطرح الحدث المقترح، أو موقفاً منه وكأنه يحدث الآن والقيام بتجسيده ، ضمن الظرف المكاني والزماني وتوزيع الأدوار وتبادلها، وإعادة مشاهدتها وربما إعادة تمثيلها مرة أخرى، وبحسب ما تقتضيه ضرورات المعالجة، وذلك بهدف تشجيع الشخصية المحورية وإتاحة الحرية لها لاختيار طبيعة ونوع الحدث الذي يجسد مشكلة البطل والآخرين، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة تهيئة وإشعار الفريق عند اقتراب انتهاء الأداء التمثيلي بعيداً عن الشكل الفجائي.
3. مرحلة المناقشة والتفسير: وتمثل مرحلة ما بعد الحدث من مناقشة للأفكار والمشاعر وردود الأفعال إزاء الموضوع وآلية التعبير عنه، بهدف التقييم والتقويم للوصول بالمشاركين إلى الهدف، وهو الخروج من مشكلة العنف بحلول مقترحة. (شقير، 2005: 66) مع المراعاة في هذه المراحل أهمية تعارف أعضاء الفريق حتى يشعروا بالألفة، وتحديد المشكلة وضرب أمثله عليها وتحديد الأدوار واقتراح مفاتيح للحل.

تكتسب السيكودراما كأسلوب من أساليب العلاج بالدراما أهميتها من كونها تعمل في اتجاهات متعددة وممارستها يفيد في عملية التشخيص والمعالجة الإرشادية والتعليم والترفيه، وتعمل على تنمية المهارات الاجتماعية في صورة تجذب أعضاء المجموعة الإرشادية على التفاعل الإيجابي والمشاركة الفاعلة، إن "السيكودراما تنمي الخيال والتعاون والمحادثة، وتنمي المهارات اللغوية، وتسهم في إخراج شحنات الكبت من خلال الأدوار التي يقوم بها (المسترشد)، زيادة على أنها تقوي الثقة بالنفس والتعبير عنها."(أحمد،2007: 88)

عليه نلاحظ أهمية ودور وفاعلية المسرح العلاجي (السيكودراما والسوسيودراما) في مناهضة العنف المجتمعي بوصفها وسيلة للعلاج النفسي والاجتماعي ووسيلة للتدريب والتفريغ والترويح والترفيه، في تشخيص المشكلات الفردية والجماعية وعلاج السلوكيات السلبية من خلال عرض المشكلات واقتراح الحلول لها وتبني سلوكيات بديلة اعتماداً على أسلوب الارتجال Improvisation، والتلقائية Spontaneity والتنفيس الانفعالي (التطهيرCatharsis) وتجاوز الإحباط وتشجيع التواصل والتفاعل معرفياً ووجدانياً واجتماعياً مع الأخر من خلال تنمية مهارة تواصلية جديدة و بروح رياضية.

**النتائج والاستنتاجات:**

1ــ يسهم المسرح العلاجي إسهاماً كبيراً في مناهضة العنف المجتمعي بوصفه وسيلة من وسائل العلاج النفسي(السيكودراما)، وأسلوباً علاجياً اجتماعياً (السوسيودراما) ينطوي على تشخيص المشكلات و طرح الحلول لها، وتعزيز السلوك الإيجابي .

2ــ تتمثل فوائد المسرح العلاجي (أسلوب التمثيل المسرحي النفسي/ الاجتماعي) في الكشف عن جوانب الشخصية ودوافعها وحاجاتها وصراعاتها، والتنفيس والتطهير الانفعالي و الإسقاط النفسي للشخصية المستهدفة، وبالتالي تنمية ثقتها بنفسها وبالآخرين وصولاً إلى الاستبصار بحجم مشكلة العنف المجتمعي والتدريب على الحلول الممكنة لها.

3ــ السيكودراما توفر فرصة تعديل أنماط السلوك الاجتماعي السلبي (العنف) باستخدام أساليب التعلم بـ (النمذجة – الملاحظة – المحاكاة– الاستبصار– الارتجال– الإسقاط– المناقشة الجماعية...) وصولاً إلى أنماط سلوكية إيجابية من خلال النماذج الممسرحة.

4ــ يمكن توظيف المسرح العلاجي بوصفه تقنية علاجية، وقائية، تعليمية، تدريبية تلائم كافة الفئات التعليمية والثقافية والعمرية، وقابليته للتعامل مع مختلف المواقف، لإبراز الأدوار التنموية الجديدة للمسرح في علاقته الإيجابية مع العنف المجتمعي.

5ــ يعد المسرح العلاجي (السيكودراما/السوسيودراما)، من أهم التقنيات لتنشيط الأفراد ذهنياً ووجدانياً وصهرهم داخل الجماعة وتطهيرهم نفسانياً من سلوكيات العنف، وإخراجهم من العزلة والوحدة والاغتراب الذاتي والمكاني إلى عالم مجتمعي أرحب يعتمد على المشاركة والانسجام وتفتيق المواهب وممارسة الديمقراطية الفعالة.

6ــ السيكودراما طريقة مسرحية تساعد الفرد/الجماعة على القيام بمجموعة من الأدوار المسرحية التي تحقق التوازن السيكو اجتماعي من أجل بناء الذات والأسرة والمجتمع بطريقة ديمقراطية قائمة على العطاء والعمل والإنتاجية والمرودية .

7ــ التطبيق العلمي لاستراتيجيات وتقنيات السيكودراما تساعد المعالج (المخرج) على تفهم المسترشدين(الممثلون والمشاهدون) ومساعدتهم في التعامل مع مشاعرهم وانسجامهم مع مجتمعهم بصورة سلوكية صحيحة بعيدة عن العنف.

8ــ يكتسب المسترشدون(الممثلين والمشاهدين) في المسرح العلاجي، استجابات جديدة إيجابية عن طريق الملاحظة لسلوك الممثلين مما يؤدي إلى التقليل من السلوكيات غير المرغوبة (العنف) وزيادة السلوكيات المرغوبة.

9ــ يمكن الإفادة من السيكودراما في تكامل معرفه وثقة (المسترشد) بقدرته على مواجهة الظروف التي قد تواجهه في المستقبل .

10ــ ترتبط فاعلية المسرح العلاجي وتطبيقاته ونتائجه المتوخاة بمهارة وخبرة المعالج (المخرج).

وبالاستناد إلى فرضية البحث وإجراءاته التي تشير إلى أن للمسرح العلاجي دوراً إيجابياً في مناهضة العنف المجتمعي من خلال تطبيق أساليب وتقنيات السيكودراما والسوسيودراما، تتضح أهمية فاعلية الفن المسرحي بوصفه فضاءً مفتوحاً يتضمن إمكانيات درامية عالية تستطيع أن تعالج النماذج السلوكية السلبية، والتنفيس عن المكبوتات و الضغط النفسي المسبب للعنف، وتوظيفه يعود بالفائدة الجماعية و الفردية، من خلال العمل على اكتساب و تنمية المهارات السلوكية الإيجابية بما يؤدي في النهاية إلى تحقيق التوافق والتفاعل الاجتماعي السليم والتعلم من الخبرة الاجتماعية. كما يتيح الفرصة للمشاركة وتقبل الأخر والتسامح معه ، ويوفر الفرص لتمنية وتحسين المهارات التعبيرية والتواصلية لحل النزاعات والصراعات بعيداً عن سلوكيات العنف المجتمعي بكافة أشكاله ومظاهرة وتنوعاته ودوافعه ومستوياته ومنظومة تأثيراته.

**التوصيات والمقترحات:**

نظراً لفاعلية المسرح العلاجي في مناهضة العنف المجتمعي يوصي الباحث بما يلي:

1ــ الاهتمام بالمسرح العلاجي وتطبيقاته و التأكيد على الدور الإيجابي الذي يلعبه في مناهضة العنف، وتوفير كافة الشروط الضرورية من أجل أن يقوم بدوره بالشكل المطلوب.

2ــ تصميم برامج إرشادية وقائية علاجية في السيكودراما، بهدف مواجهة مشكلات أخرى.

3ــ تأهيل وتدريب متطوعين لتطبيق أساليب المسرح العلاجي في مناهضة العنف المجتمعي.

4ــ تأسيس مركز دراسات وأبحاث لرصد العنف المجتمعي والحد من انتشاره.

5ــ زيادة الوعي الأسري والمدرسي والجامعي بسلبيات العنف المجتمعي بكافة أشكاله ومظاهرة وتنوعاته ودوافعه ومستوياته و تأثيراته، من خلال وسائل ومناهج التربية والتعليم والوسائل الإعلامية المكتوبة والمسموعة والمرئية.

**المصادر والمراجع:**


1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم، أبو الوفا محمد (2004): البعد الجنائي للعنف في الجرائم الإرهابية في القانون المقارن والفقه الإسلامي، جامعة قطر، الدوحة.
3. إبراهيم، أسماء( 1994): استخدام السيكودراما لخفض اضطرابات الانفعال لدى الأطفال، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة.
4. ابن منظور( 1988): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
5. بدوي، أحمد زكي( 1978): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
6. البشر، خالد بن سعود (2005): أفلام العنف والإباحة وعلاقتها بالجريمة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
7. بيرديو، بيير( 2004): التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجي، دار كنعان للدارسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق.
8. بيرديو، بيير، وجان كلود بارسون( 2007): إعادة الإنتاج، في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم ، ترجمة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
9. بوالسكك، عبد الغني(2009): العنف والسلطة في فلسفة هربرت ماركوز، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.
10. الجبرين، جبرين علي(2005): العنف الاسري خلال مراحل الحياة، مؤسسة الملك خالد الخيرية، الرياض.
11. جمعة، أمجد عزت(2005): مدى فعالية برنامج إرشادي مقترح في السيكودراما للتخفيف من حدة بعض المشكلات السلوكية لطلاب المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية،غزة.

12. خطاب، محمد احمد(2000): مدى فاعلية سيكودرامي لتخفيف من حدة سلوك العنف لدى عينة من الأطفال(المتخلفين عقليا) رسالة ماجستير، معهد الدارسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.

13. الخطيب، صالح أحمد(2003): الإرشاد النفسي في المدرسة، دار الكتاب الجامعي، العين.

14. الزعبي، أحمد محمد (2002): الإرشاد النفسي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان.

15. زهران، حامد عبدالسلام (1980): التوجيه والإرشاد النفسي،عالم الكتب، القاهرة.

16. السفاسفة، محمد(2003): أساسيات في الإرشاد والتوجيه النفسي والتربوي، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت.

17. سليمان، عبدالله محمود:(1999)، نحو تصور إجرائي لبرنامج علم النفس الإرشادي، مجلة شؤون اجتماعية، الجامعة الأمريكية بالشارقة، الشارقة، العدد 62.

18. السمري، عدلي(2001): العنف في الأسرة تأديب مشروع أم انتهاك محظور، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

19. شحاته ، خالد (1999): استخدام السيكودراما في تخفيض العدوانية لدى الأطفال اللقطاء مجهولي النسب لسن ما قبل المدرسة، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس ، القاهرة .

20. الشربيني، لطفي(2003): معجم مصطلحات الطب النفسي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.

21. شقير، زينب محمود(2005): الشخصية السوية والمضطربة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

22. الشناوي، محمد محروس(1996):العملية الإرشادية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

23. الطحان، محمد خالد(1987): مبادئ الصحة النفسية، دار القلم، دبي.

24. طه،عبد القادر فرج، وآخرون(1993): موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت.

25. الظاهر، قحطان أحمد ( 2004 ): تعديل السلوك، ط 2، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان.

**26.** عابدين، يسار:(2010): العنف الجماعي ضد المدنية، استباحة للتاريخ والتراث دون مقاومة، مجلة فكر، دمشق ،العدد113.

**27.** عبد الحليم، عبير(2001): دور برنامج للدراما الإبداعية لخفض العدوان لدى الأطفال الملتحقين برياض الأطفال، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة.

**28.** عبدالقادر، حسين، وحسين سعد الدين(1994): انحراف الأحداث والسيكودراما، دار عامر للطباعة والنشر، المنصورة.

**29.** عقل، صلاح (1999): استخدام السيكودراما في مجال الإرشاد التربوي والعلاج النفسي ،معهد التربية، الانروا، اليونسكو، عمان.

**30.** عيسوي، عبد الرحمن ( 1978): العلاج النفسي، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية.

**31.** غازي، صفاء(1991): فاعلية أسلوب العلاج الجماعي(السيكودراما) والممارسة السلبية لعلاج بعض حالات اللجلجة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.

**32.** غانم، محمد حسن(2009): العلاج النفسي الجمعي بين النظرية والتطبيق، المكتبة المصرية، القاهرة.

**33.** غريب ، محمد (1999): مدى فاعلية برنامج سيكودرامي للتخفيف من القلق النفسي عند النفسي عند أطفال المؤسسة الإيوائية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات العليا للطفولة ، جامعة عين شمس ، القاهرة .

**34.** فراج ، عفاف أحمد ، ونهى مصطفى حسن( 2004): الفن لذوي الاحتياجات الخاصة، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.

**35.** فريري، باولو(2002): نظرات في تربية المعذبين في الأرض، ترجمة مازن الحسيني، دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع، فلسطين.

**36.** الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب(2005): القاموس المحيط، ط8 ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

**37.** القصاص، مهدي محمد( 2005): عنف الشباب: محاولة في التفسير دراسة ميدانية، المجلة العلمية، كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد36

**38.** ليلة، علي( 1993): الشباب العربي: تأملات في ظواهر الإحياء الـديني والعنـف، ط2، دار المعارف، القاهرة.

**39.** لوكا، جون(1993): آليات العنف، في ظاهرة العنف السياسي من منظـور مقـارن، تحريـر وتقديم نيفين عبد المنعم ، أعمال الندوة المصرية الفرنسية الخامسة، مركز البحوث السياسـة ، القاهرة.

**40.** ماركوز، هربرت ( 1972): نحو التحرر فيما وراء الإنسان ذي البعد الواحد، ترجمـة إدوارد الخراط، منشورات الآداب، بيروت.

**41.** مراد، فاروق عبدالرحمن(1991):(تقديم) دراسات حول قضايا الشغب وأسباب العنف، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

**42.** مطر،عبد الفتاح(2002): فاعلية السيكودراما في تنمية بعض المهارات الاجتماعية لدى الصم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية،جامعة القاهرة.

**43.** ملحم، سامي محمد(2007): مبادئ التوجيه والإرشاد النفسي، دار المسيرة، عمان.

**44.** نفيسة، محمد(1996): الإسلام وظاهرة العنف، ندوة فكرية، (تقديم)، دار السقا، دمشق.

**45.** الهلالي، محمد، وعزيز لرزق(2009): العنف، (ترجمة وإعداد)، دار توبقال للنشـر، الـدار البيضاء.

**46.** وطفة،علي أسعد( 2009): من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي قراءة في الوظيفـة البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية، مجلة شؤون اجتماعية، الشارقة، العدد104.

**47.** وهبه، مراد، ويوسف مراد(1974): المذهب التكاملي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

**48.** ويتمر، باربرا(2007): الأنماط الثقافية للعنف، ترجمـة ممـدوح يوسـف ، سلسـلة عـالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد337

**49.** اليامي، عوض مبارك(2001): مفهوم العلاج بالفن التشكيلي، مركز البحوث التربويـة، كليـة التربية، جامعة الملك سعود.

**50.** يحيى،خوله احمد(2000):الاضطرابات السلوكية والانفعالية، دار الفكر، عمان.

**51.** يحيى، محمد لطفي(2003): استخدام السيكودراما في تخفيف الفوبيا الاجتماعية لدي أطفـــال مرحلة الطفولة المتأخرة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.